

# مجنون عليا

محمد صلاح زكريا

جهاد محمد السبع

أصر على الخروج رغم عظم الامر وجلال الموقف نصحوه ان يتأنى فهو ضرير والسير بصحبة طفله الصغيرة عليا ذو الأربعة أعوام مغامرة كبيرة كل ما يشغل باله ان يحقق أمنية ثمرة فؤاده و يحضر لها فستان العيد كما طلبت يسعى ألا يرفض لها طلبا يود ان يعوضها حنان الأم التي افتقدته منذ ولادتها خرج يقبض على يدها واليد الأخرى تتشبث بالعصا يشق بها طريقه وسط زحام الشارع وصخب المارة في محطة الأتوبيس سأل عن أتوبيس العتبة تطوع أحد المارة وساعده في الصعود اليه يحاول أن يجد موضعا لقدمه وسط الأجساد المتلاصقة في الأتوبيس .. يده الحانية تطمئن عليا أن حلمها أوشك ان يتحقق ، لمحته سيدة جميلة تجلس عطف عليه وأمسكت بطفله تجلسها على ساقها تركها على مضض وخوف

الزحام يخنقه ويزيد من متاعبه ولا احد يريد أن يتفهم حالته ويخلى له مكانا لكي يجلس يهرب من الملل بالتفكير في كيف سيختار فستان عليا .. يشعر أنه مقبل على مخاطرة .. يخشى من مكر البائعين ودهاء التجار ..

لم ينتبه الا على صوت الكمسرى الجهورى مناديا  
( العتبة آخر محطة )

نادى على عليا لكن لم يجبه احد وقد نزل جميع الركاب كرر النداء بصوت يعلو يصل لحد الصراخ لكنه شعر بأنه وحيدا تعالت صرخاته ينطلق في الأتوبيس الخال وعصاه تتحرك تبحث عن عليا سائق الأتوبيس يحاول أن يهدئ من روعه زاد نحيبه وعويله

وقف في الميدان الفسيح يبكي ويصرخ ينادى على طفلة يضرِب الأرض بعصاه لعل وعسى ينطلق هائما كالمجنون ..الناس يلتفون حوله يتعجبون من أمره.. يحاولن مساعدته لكن لا أثر لعليا ..يصرخ بقلب مكلوم

« عليا ابنتي أخذتها امرأة و اختفت خدعتني و خطفتها »

يجلس جاثيا على ركبتيه يولول كالنساء لكن بلا جدوى يظل هائما على غير هدى في الطرقات .. لا شئ يفعله سوى صراخه المتواصل كالسيل

تدور رحى الأيام و قد أبى أن يعود الى بيته الا و صغيرته معه مازال كالمخبول يمضى و قد اعتصره الألم و الهموم تطارده لا يكف عن البكاء و الناس تشفق عليه تحاول مساعدته لكن لا أثر للسيدة التي أخذت صغيرته .. مرت سنوات و مازال على حاله يصرخ و ينادى عليها حتى ان الصبية أطلقوا عليه مجنون عليا

كانت السيدة بمجرد ان جلست عليا على ساقها حاجت ذكرياتها الحزينة بفقد طفلتها عليا و كان القدر قد أحضر لها طفلة تشبهها ليس في الملامح فحسب بل تحمل نفس الاسم

زاغت الطفلة في عينيها وتراءت ازائها حيلة شيطانية زاد بريقها عندما تيقنت أن والد الطفلة ضرير فاستغلت زحام الأتوبيس وانسخلت بالطفلة خلسة ونزلت تهرول بها تختبئ عن العيون

خوفا من ان يكتشف امرها أحد

وحينما وصلت استفاقت عليا من غفلتها وظلت تبكي تبحث عن ابها تبحث عن اى شخص تعرفه

فلم تجد سوى تلك المرأة

ورجلا يحمل وجه قاسى

كلما نظرت اليه زاد بكاءها

تحاول السيدة تهدئتها واحضار الألعاب كي تلهو وتنسى ولكنها ظلت تصرخ  
حتى غلبها النعاس

سألها زوجها ماذا فعلتى ومن اين اتيتى بهذة البنت الصغيرة؟

- ارجوك لا تسألنى اى شئ ارجوك

- كيف لا اسالك ؟ وانتى تخبيئن مصيبة فى بيتنا؟

- هذه نعمة من الله أرسلها لنا تعويضا عن ابنتنا عليا التى ماتت

رد ساخرا

- كيف تكون نعمة؟! و قد جاءت عن طريق السرقة و لا شك أنها ستتحول

الى نقمة

تبكى بحرقه

- حرام عليك .. لا تزد من أحزاني هل سأعيش بقية عمري أبكى فقد طفلتى ..

- وما ذنب أهل هذه الطفلة ان تحرميهم من فلذة كبدهم و تحرمى الطفلة

من حنان امها الحقيقية؟! .. ألم تفكرى فى شعورهم الآن و مصيبتهم بضياح

طفلتهم .. كفاك أنانية .. أنتى لست أول أم تموت طفلتها

أشاحت بوجهها و ردت بلهجة غاضبة

- لا تذكرنى بما مضى .. دعنا نفرح بان الله عوضنا

صاح متذمرا

- أنا لا يمكن ان أشاركك هذه الجريمة ؟ ربما يكتشف أمرنا و يكون السجن

مصيرونا فلا شك ان اهلها لن يستسلموا و سيبحثون عنها فى كل مكان

وضعت يديها على رأسها تعتصرها من الألم

- لا أدرى لماذا فعلت هذا؟

ثم صاحت تمسح دموعها و عيناها تلمع بهريق التحدى

- اطمئن والدها رجل كفيف و من يدرى ربما لا يمت لها بصلة و يسير

بصحبتهأ كي يتسول بها وأنا انقذتها من برائته من الآن هي ابنتى و لن أسمح  
لأحد ان ينتزعها من أحضانى  
استسلم الرجل محنقا

بينما ذهبت هناء تطمئن على عليا وتمسح على شعرها و تتخيلها وهي تنادى  
لها ماما وتتذكر صورة ابنتها

وتتذكر يوم نطقت ماما ويوم مشت ويوم ضحكت ويوم بكت  
وكيف تحول البيت الى جحيم بعد رحيلها

مرت الايام دون ان تشعر عليا بأى فقر او حزن او ألم  
لان هناء منحتها كل الحب والحنان والاهتمام التى اتحرمت منها هذه  
الطفلة الصغيرة اليتيمة ، وهكذا وجد كل منهما ضالته  
عاشت عليا اجمل ايام حياتها فى هذا المنزل ما بين ام حنونة واب يوليها كل  
اهتمام و عناية

حتى كبرت وازداد جمالها وصارت شابة فائقة الجمال  
الى ان جاء من سرق قلبها ووافقت على الارتباط به  
و يوم العرس

ارتدت الفستان الابيض وكانت ملكة متوجة على عرش الجمال ودعت  
الجميع وذهبت مع فارسها لقضاء شهر العسل  
فى الطريق ظهر امامهم فجأة الرجل الضيرير و للسرعة الزائدة أطاح به  
عريسا

ترجلوا من سيارتهم وتوجهوا نحو الرجل الذى كان يتمتم متألما و الدماء  
تطوقه

عليا عليا

نظرت اليه بدهشة

كيف عرف اسمى؟ ومن يكون ذلك الرجل؟

وماذا جاء به الى هذا الطريق؟

لم تهدأ عليا بالرغم من كلمات زوجها ولكنها ظلت تصرخ  
ترفض اقتراح زوجها بالهروب وظلت تبكي  
الى ان وافق على نقل الرجل للمشفى وهناك حضرت الشرطة و جاءت هناك  
على عجل وعندما دخلت لغرفة الرجل تسمرت قدماها وجحظت عيناها  
ورجعت بالذاكرة للوراء  
من يوم رأت عليا الى الان ولكنها لم تستطع ان تخفى اكثر من ذلك  
انهارت وصارت تولول  
انا المجرمة انا من قتلت ذلك الرجل انا من سرقت قرّة عينه  
انا من اختطفت ابنته مثلما خطف الموت ابنتي  
سامحيني  
سامحوني جميعا  
في تلك الاثناء تنصت عليا بكل حسرة  
كانت تبكي بانهييار تام .. سقطت مغشيا عليها من هول الصدمة  
وعندما فاقت قامت تصرخ  
بابا بابا  
كان كابوسا وأيقظها من الاعماء ولكنها استفاقت على كابوس اخر  
فلقد رحل الاب عن الحياة كلها  
رحل قبل ان يعلم ان ابنته عليا كانت تنتظره مثلما انتظرها